المحاضرة الثامنة: المواطنة الرقمية

أصبح مفهوم المواطنة الرقمية محوريا في الدراسات السياسية بخاصة تلك التي تتعلق بنظرية الديمقراطية وتفريعاتها كالمشاركة السياسية والتنشئة السياسية والانتماء السياسي، حيث يلاحظ ان هذا المفهوم بدأ يتبلور في الادبيات السياسية بل إن عدة دول صارت تعول عليه في دعم اسس المواطنة عبر آليات عدة.

أولا- مفهوم المواطنة الرقمية:

إن مفهوم المواطنة الرقمية وعناصرها تغطي مصطلحات من عدة مجالات، مثل علم النفس، التقنيات، والأمن ، السياسة، وغيرها، ويطلق على المواطنة الرقمية أيضًا المواطنة الإلكترونية، أو المواطنة عبر الإنترنت.

وأوضح كارسينتي Karsenti أن مصطلح المواطنة الرقمية عبارة عن مزيج من مفهومين: "المواطن والرقمية". ى

ولقد تعددت وجهات النظر حول المواطنة الرقمية، فمنهم من يرى أنها تتضمن عملية الاستخدام الآمن والأمثل للتكنولوجيا كتعريف جويفل والخالص Jwaifell & Alkhales بأنها "الاستخدام المناسب للتكنولوجيا، واتخاذ الخيارات الآمنة والمسؤولة والمحترمة عبر الإنترنت". ويتفق معه القرني (2018) ,Algarni في تعريفه لها بأنها "الاستخدام الأمثل للإنترنت، والشبكات الاجتماعية، والبرمجة الحديثة".

وقد انبثق من مفهوم المواطنة الرقمية مفهوم المواطن الرقميDigital Citizenship :

أشار كارسينتي Karsenti إلى أن مصطلح المواطن الرقمي يشير إلى الشخص الذي يستخدم الإنترنت بشكل منتظم وفعال. وعرفه علوان بأنه "شخص لديه وعي ومعرفة بالتكنولوجيا، مع القدرة على تطبيق تلك المعرفة إلى سلوكيات وعادات وأفعال، يمكن من خلالها التعامل بشكل لائق مع التكنولوجيا نفسها، أو مع الأشخاص الآخرين بواسطة التكنولوجيا. وعرفته ناجي

وفي قاموس كامبردج للغة الإنجليزية (.Cambridge English Dictionary) ورد مصطلح المواطن الرقمي بأنه "الشخص الماهر في استخدام الإنترنت؛ من أجل التواصل مع الآخرين، وشراء وبيع الأشياء، والمشاركة في السياسة، ويفهم كيفية القيام بذلك بطريقة آمنة ومسؤولة.

ثانيا- عناصر المواطنة الرقمية:

للمواطنة الرقمية تسعة عناصر أساسية، نوجزها فيما يلي:

1- الوصول الرقمي : Digital Access أي المشاركة الكاملة للفرد في المجتمع الرقمي. وهنا يجب أن يُدرك مستخدمو التكنولوجيا أن فرص الاستخدام الأمثل غير عادلة نظرًا لتفاوت الإمكانيات والكفاءات، الأمر الذي يؤثر قطعا على التنمية المستدامة للمجتمع ككل. لذا يُعد العمل على تحقيق المساواة في القدرة على استخدام التكنولوجيا، والتأكد من عدم حرمان أي شخص من الوصول الرقمي، نقطة انطلاق أساسية للمواطنة الرقمية.

2- التجارة الرقمية Digital Commerce : أي بيع وشراء السلع إلكترونيًا عن طريق الإنترنت. لا شك أن ثمة عمليات تبادل تجاري كثيرة ومتنوعة تجري عن طريق الإنترنت بشكل شرعي وقانوني، لكن المستخدمين في حاجة إلى الإلمام بكافة

القضايا والمشكلات التي تتعلق بالجارة الرقمية، لاسيما تلك الخدمات التي تتنافي مع الأخلاق والقانون، كالتحايل على البرامج، وسرقة الملكيات الفكرية، ... إلخ.

3- الاتصال الرقمي Digital Communication: أي التبادل الإلكتروني للمعلومات، حيث شهد العالم انفجارًا في خيارات الاتصال التي باتت أكثر اتساعًا وتنوعًا وسرعة البريد الإلكتروني، الهواتف الخلوية، الرسائل الفورية، ... إلخ)، ومن ثم أصبح الناس قادرين على التواصل المستمر مع بعضهم البعض من أي مكان وفي أي وقت، وتلك إحدى التجليات المهمة للثورة الرقمية. لكن - لسوء الحظ - لم يكتسب الجميع القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة فيما يتعلق بخيارات الاتصال وتقنياتها وأبعادها الإيجابية والسلبية، الأمر الذي ينتقص من مفهوم المواطنة الرقمية الكاملة.

4- محو الأمية الرقمية Digital Literacy: أي إدراج مهارات التعامل مع التكنولوجيا الرقمية في البرامج التعليمية. الأمر هنا يختلف من دولة إلى أخرى، ويتفاوت من مجتمع إلى آخر ؛ فعلى الرغم من أن كثرة من برامج التعليم الغربية قد حققت تقدما ملحوظا في هذا الصدد، إلا أن ثمة تفاوتا وإن كان محدودًا - فيما بين هذه البرامج وبعضها البعض، كما أن ثمة تفاوتا كبيرًا فيما بين هذه البرامج وبرامج التعليم في دول العالم الثالث. من جهة أخرى، يجب التركيز على تعليم جموع العاملين في المهن المختلفة كيفية استخدام التقنيات المتداولة والمحدثة باستمرار في المجتمع الرقمي ومحو الأمية المعلوماتية لقطاع عريض منهم لا تتاح له غالبًا فرصة تعلمها بشكل سريع ومناسب، وإلا كانت المواطنة الرقمية قصرًا على فئة بعينها، وبالتالي تنتفي أهم سمات المواطنة، وهي العدالة والمساواة.

5- الآداب الرقمية :Digital Etiquette (السلوك الرقمي) أي القواعد والقيم المشتركة التي يجب أن تحكم كافة التعاملات الرقمية. غالبًا ما يرى مستخدمو التكنولوجيا هذا العنصر كأحد أكثر جوانب المواطنة الرقمية إلحاحا وإشكالية، وسبب ذلك أن كثرة من الناس يستخدمون التكنولوجيا دون تعلم آدابها مساحة الحرية وحدودها وطرائق ممارستها ، ولذا تلجأ بعض الحكومات إلى حظر التكنولوجيا بشكل جزئي أو عام للحد من الاستخدام غير المناسب لها، لكن المسألة تتجاوز مجرد التدخل الحكومي أو الأسري في عصر السماوات المفتوحة، ومن الضروري أن يتعلم الجميع كيف يمكن أن يكونوا مواطنين رقميين في مجتمع رقمي جديد.

6- القانون الرقمي Digital Law: أي مسؤولية الأفراد والجماعات والحكومات أخلاقيًا وقانونيًا عن كافة الممارسات الإلكترونية. يتجلى الاستخدام غير الأخلاقي غالبًا في شكل سرقة و / أو جريمة، ويتجلى الاستخدام الأخلاقي في الالتزام بقوانين المجتمع الرقمي وتشريعاته التي ما زالت في طور التطوير والتحسين. ويجب أن يعي الجميع أن إلحاق الضرر بالآخرين، أو سرقة هوياتهم أو ممتلكاتهم، أو الحد من حرياتهم، أو كشف خصوصياتهم،... إلخ، تُعد أمورًا غير أخلاقية، أو بمعنى أدق، جريمة يعاقب عليها القانون.

7 - الحقوق والمسؤوليات الرقمية Digital Rights and Responsibilities: ثمة مجموعة أساسية من الحقوق تمتد إلى كل مواطن رقمي، منها الحق في الخصوصية، والحق في حرية التعبير وإبداء الرأي، وما إلى ذلك. وفي موازاتها تأتي أيضًا المسؤوليات التي تقع على عبء المستخدمين للتكنولوجيا الرقمية، وفي مقدمتها المساعدة في تحديد كيفية استخدام التكنولوجيا بشكل مناسب ومثمر . ومن الضروري معالجة الحقوق والمسؤوليات ومناقشتها بشكل دوري من قبل منظري المجتمع الرقمي.

8- الصحة الرقمية Digital Health : أي السلامة البدنية والنفسية في عالم التكنولوجيا الرقمية. على سبيل المثال، تُعد أمراض العين، ومتلازمة التعب المزمن والتهاب الفقرات من الأمراض التي يجب تجنبها وتقديم العلاج الناجع لها في عالم التكنولوجيا الرقمية. هذا فضلاً عن الأمراض النفسية التي أصبحت أكثر انتشارًا، مثل إدمان الإنترنت، والاكتئاب، والرهاب الاجتماعي. يجب أن يتم توعية المستخدمين بالمخاطر الجسدية والنفسية الناجمة عن استخدام التكنولوجيا الرقمية، بل وتدريبهم على كيفية تجنبها وعلاجها.

9- الأمن الرقمي Digital Security أي كيفية اتخاذ الاحتياطات التكنولوجية اللازمة إزاء الجرائم الرقمية، مثل سرقة الهويات، وتشويه الآخرين أو تعطيل مصالحهم، أو العبث بأجهزتهم من خلال زرع الفيروسات بها. من خلال توفير وتحديث برامج مكافحة الفيروسات وتعلم كيفية وضع واستخدام اسم المستخدم وكلمة السر، إلى غير ذلك من وسائل باتت ضرورية في المجتمع الرقمي.

ثالثا- المواطنة الرقمية : المظاهر والتجليات

ترتبط المواطنة الرقمية كمفهوم وممارسة ب المواطنة الافتراضية (Virtual Citizenship) ، وهي نمط جديد من العلاقات يجد أسسه في العالم الافتراضي أو الفضاء الاليكتروني الذي يعد نتاجا لجملة التحولات الهائلة والرهيبة « كماً وكيفاً» التي تحققت في مجال الإعلام والاتصال .

وبالتالي فالمواطنة الرقمية تقوم في الأساس على تسخير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بغية تأسيس علاقات « مواطنية» جديدة تسبح في عالم افتراضي يتيح للفرد فرص أرحب للمشاركة والتعبير عن هويته وأفكاره بدون حدود أو قيود وتكوين علاقات فكرية في إطار مجموعات افتراضية يمكن أن تختزل وتخترق حدود الزمان والمكان أو ما عبر عنه البعض بنهاية الجغرافيا ونهاية الدولة التقليدية وبروز الدولة الافتراضية حسب رتشارد روز كرانس R. Rosecrance .

وبمعنى آخر أن « مواطنية » العالم الافتراضي الجديد لم تعد تكترث للحدود الجغرافية التقليدية والتي تجسد سيادة الدول بل أنها تتجاوز ذلك ولا يمكن السيطرة ، كما ان وسائل الاتصال الحديثة والجديدة قلصت حدود الزمان والمكان وفرضت نمطا جديدا من العلاقات والدلالات والمعاني وعلى صعيد اللغة والآليات . فمظاهر وتجليات المواطنة الرقمية تجد أساسها في الوسائط الاليكترونية الحديثة التي تعتبر من مكونات الإعلام الجديد من مثل شبكات التواصل الاجتماعي « الفيسبوك ، التوتير » وغيرها من الشبكات الاتصالية ذات البعد العالمي والتي أسهمت في دفع فكرة المواطنة العالمية من خلال الانضواء تحت مظلة . المجتمع المدني العالمي « الذي أصبح ذو تأثير عميق وكبير وواسع في السياسات المحلية والدولية ومن خلال ممارسة ما يمكن أن نطلق عليه « المواطنة الشبكية العالمية « عبر مؤسسات المجتمع المدني العالمي التي تضم تحت جناحيها أعضاء « مواطنون » تعكس قيمهم أنماطا من التعددية والتعايش والانتماء.

رابعا- المواطنة الرقمية : القيود والتحديات

رغم ما يوفره الفضاء الافتراضي من فرص ومناخات متاحة لتحقيق وتجسيد مقومات «المواطنة الرقمية » ، إلا أن فكرة المواطنة الرقمية تواجه تحديات ومصاعب عدة على صعيد الممارسة والتطبيق وهي تحديات تتوزع على مكونات معنوية ثقافية ومادية يمكن إجمالها في:

1- تحديات معنوية وثقافية : وهي تحديات نابعة من حقيقية أن طبيعة المواطنة الرقمية بقدر ما توفر مناخا للتعدد والتنوع فهي تفضي أحيانا إلى نوع من الاختلاف والتصارع النابع من طبيعة الاختلافات الثقافية والحضارية التي تفرز نفسها في العالم الافتراضي ، ذلك إن من سمات العالم المعاصر أن يظهر الناس أكثر تماثلا وأكثر اختلافا في الوقت نفسه بسبب قوى الحداثة والعولمة. بل أن التماثل المنشود في ظل ظروف العصر الاليكتروني قد يتحول إلى تجاذب وصراع حول الهويات المختلفة ساحاته الأساسية العالم الافتراضي والأخطر أن هذا العالم الافتراضي أتاح الفرص أمام ظهور الهويات الفرعية وهو ما يهدد استقرار عديد النظم والمجتمعات وينذر بمزيد من الانقسام والتشظي والصراع . والسؤال الكبير الذي يطرح هنا هو : ما هي آفاق المواطنة الرقمية في ضوء التحديات الثقافية والاختلافات الحضارية والسياسية والأيدلوجية التي تواجهها ؟ .

2- تحديات مادية : وهي تحديات تتصل بمدى توفر البنية التحتية اللازمة لتوفر البيئة المناسبة لوسائل الاتصال والمعلومات الحديثة ومدى انتشارها أفقيا وعموديا وطبيعة الشرائح التي تتعامل مع الشبكة المعلوماتية ومهاراتها ، أو ما يمكن أن نطلق عليه « الجاهزية الالكترونية. ويمكن القول أن اغلب دول العالم النامي تفتقر إلى البيئة التحتية والأساسية اللازمة التي يمكن أن تستقطب أعدادا هائلة من المواطنين والسكان في التعامل مع وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة، وهو أمر يتصل أيضا بموضوع الفجوة الرقمية. كما أن عزوف المواطنين عن الانخراط في العملية وعدم الإقبال عليها يعود إلى افتقاد أعداد كبيرة منهم للمهارات اللازمة للتعامل مع الشبكة المعلوماتية ومع الحواسيب وأجهزة الكمبيوتر.